الحرب والسلم

مزدوجتان

وضعها الراجي للانسانية خير السلام

وغمد الحسام

صديق احمد الازهري

بالاسكندريه

«طبع بعد نظر قلم مراقبة الصحف والاذن بطبعها»

مطبعة جرجي بمرزوزي بالاسكندرية

سنة

١٣٣٥ هجرية

المزدوجة الاولى
عدتها ١٥٠ بيتاً

﴿ الى المتحاربين ﴾

رجال الحرب كنتم فى البرايا رجال السلم تأبون المنايا
وكان الفضل منكم والمزايا عماداً ان تتابعت الرزايا
ومن بأسائكم يخشى الزمانُ
ودنيانا بكم كانت عروسا تجلت فى محاسنها شموسا
رشفنا من سلافتها كؤوسا فانعشت الجوارح والنفوسا
وكانت جنةً فيها حسان
وكانت كالشباب لها هناء أحاط بها الصفاء فلا عناء
تقارب صبح ذلك والمساء فأضحى دهرنا وله انقضاء
كنور سدّ منفذه دخان
مضت تلك الليالي والسلامُ وحلّ مكانها فينا الحسام
تبدّلت المعالم والزحام وعادى موطن الحب الخصام
وازهق روحَ سلمكمُ الطعان

(فوجه الارض مغبرٌّ قبيحُ) وشكل الدهر ممسوخٌ قريح
وميدان القتال لكم فسيح بجوب كانه فى الناس ريح
له فى كل مملكةٍ رهان
فما من بقعةٍ فى الارض إلاَّ واعقبها الوغى فقداً وثكلا
وعمَّ الكل ما ندعوه ويلا كسحب امطرت فى الناس ويلا
ولكن وقعها ذاكَ السنان
فهل حسدت نجوم الافق ارضا اذا عمرت بنا طولاً وعرضا
وبانَ العيش فى الاكوان غضا وزخرفت البلاد وصار يَرضى
بهذا الحال مَن فيهِ جَنان
وكنَّا والعلوم لها رواج وأضواء الفنون لها ابتلاج
وبطن الارض صار له فجاج واقطاب السماء لها انفراج
فما فى الكون شىءٌ لا يصان
وكان الغرب مطلع كل بدر كما فى الشرق مشرق كل فجر
وكنا نزعم العلياء تسرى دواماً فى حبائكها وتجرى
فأخلف ظنَّنا هذا الميان
حروبٌ طاحنات مدهشات وقائع باغيات ساحقات
مدافع حاصدات قاصفات قنابل للعوالم فاتكات

قذائف قذفها منها مُهان

فكم سُفكت دماء ابرياء وطاحت ارؤس ولها فناء
واقوامٌ تداركها الشقاء وبلدان أناخَ بها العفاء
وحالفها التعاسة والشنآن

ممالك كانت العلياء تهمى مرابعها بغيث بعد وسمى
ويأتيها الندى من كل يمّ فأضحى حالها من بعد عدم
يباباً لا أنيس بها يُدان

فهل جنت العباد لكم ذنوبا وجرّت فى فعائلها عيوبا
وخالفت الأوامر والخطوبا فكان جزاؤها منكم ذنوبا
يصب عليهمُ فيه الهوان

حروبٌ ما عهدت لها سبيلا وكان فعالها شرّاً وبيلا
وتاريخ البلاد يقول قيلا بعيني ما رأيت لها مثيلا
وظنى لن يصيح بذا أذان

تقطّعت الروابط والوداد تنوسيت المحبة والعهاد
عفت تلك الرسوم فلا فؤاد تعطفه القرابة والرشاد
فلا رُحمى هناك ولا حنان

فيا انسان ما إقساك قلبا نسيت اخاك بل غادرت حبا

وكنت له بُعيد الود صلبا وبعد السلم فى الازمان حربا
كأن لم يُلف بينكم اُحتضان

تفنّنت العقول لدى عراكٍ وقربت المنية للهلاكِ
وقد نصبت لها ألفى شراكِ كأنّ الخلق فى الهيجا كراكى
يصادمها الفناء ولا تُعان

فمثلكِ يا اروبا وهو يدرى حياة المرء فى نفعٍ وضرّ
أليس المرء يا آمال عصرٍ مظاهر للفعال وكل فخرِ
به الايام يعروها افتنان

ألمّا تنقذيه من العناء وتستقرى المعالم للهناء
وتسعى فى البحار وفى الفضاء ليرقى بالعلاء الى السماء
ويُرحض عنه فى الاكوان ذان — عيب

ألم يك صيتكِ الاعلى عمادا قوياً للزمان اذا تمادى
فكم انقذت فى الدنيا عباداً هم لولاك ما حسبوا سوادا
ولا كانوا ولا ظهروا وبانوا

رقيت بهم الى سبل السدادِ ووسعت التعايش فى البلاد
وقرّبتِ الفيافى للمرادِ وكنت لمن عراك اجلّ زادِ
بهديكِ للتعامل يُستعان

وكنت اذا استغاث بك المنادى بشرقٍ جئته من كل واد
بسعى أو بأتيان الأيادي كأنك قد خلقت لمن ينادى
أباً برّاً له فينا إران — نشاط

فكم حرّرت رقّاً من عقال وكم فاديت مأسور النكال
وكم بارزت خصماً بالنضال وقد رام اضطهاداً فى فعال
فأوقف سيفه منك البنان

وكنت له اباً فى خير حال وأمّاً فى المراحم لا تبالى
عطفت عليه فى العصر الخوالى ومهدت الرياش وكل غال
كأنك فى الزمان له بوان — عماد

فما لك بعد ما كنت النصيرا جحدت حقوق من اضحى اسيرا
فهل ذاك الحنان غدا سعيرا عليه يصطلى منه نكيرا
فيا لله قلبك يا أتان — الصخرة

كأنك هرّة فى فرط حب تلوك عيالها من غير ذنب
سوى عطف واميال وعجب وفعل قد دعاه شؤون صب
دعوها فالعقول لها ارتجان — اختلاط

قصفت حياة من اضحى قديرا على الهيجا وكان لنا ظهيرا
وكنت كذئبةٍ صادت صغيرا تربيه لتأكله كبيرا

فلما شبَّ حلَّ به الهوانُ

ملايين قضى الحرب عليها وجرجر جمعها من مقوديها
وزجّاها بلا ذنب اليها فهل تلك الجموع وما لديها
أباعر ما لها قطٌّ جران — ما تعتمد عليه

نفوسٌ صرن للعقبان لحماً وعفّاها البِلى بل صرن عظما
هباء ضاعت الارواح طعما لنيران بدت فى الكون ظلما
وطال لها اذ اشتملت عُثان — دخان

مضت تلك الوجوه من الحياة وكانت زينة قبل الممات
تدبر ما يعز على البُناة باعمال حسان سابغات
لماذا لم يكن منكم صوان — ما يصان فيه الشيء

فكم تركت يتامى في شقاء ارامل لن ترى طعم الحياة
ذوت عنها الحياة بلا امتراء وهل بعد العماد لدى الفناء
ثمال للمكارم مستعان

اماكنها بها لحقت تباعا وكانت جنة فغدت يفاعا
رسوماً دارسات بل بقاعا تخبر من اتى يبغى اطلاعا
بذكري والدموع لها لسان

بذكرى يقشعر لها الفؤاد وتصعق عند منظرها العباد

حروب جرّها فينا الفساد وافكار لها ضل السداد
فمنهلها لدن قامت دفاق — مدفوق

فسل تلك الديار وسل رباها وسل تلك البلاد وما دهاها
ولاتنس النفوس لمن نعاها يجب كل بحال لو رآها
قضى لا يزايله الحنان

فبيهات الزمان بهم يجود وهل حسن اذا ولى يعود
لقد عقم الزمان فلا وجود ولا ولد يكون ولا ولود
تناصت الطبيعة يا فلان

متى تعمر بلاد من عباد متى توجد عباد فى بلاد
تأمل برهة فى كل واد ترَ الاكوان جمعاً فى حداد
لامر طعمه فينا ذؤان — الردىء من الطعام

اليس من المصائب ان تصابا عواصم كن للعليا كعابا
بلاد قد رقت حقاً وطابا بها عيش لمن يهوى اكتسابا
هي الدنيا ومرتعها جنان

فباريس بها درس المنار ولندن ليلها فيها نهار
وبتروغراد حالفها اضطرار وبرلين بها حل الدمار
ومنها كان للشر اختزان

وروما عطلت فيها الصلاة فيئاً قد سرت منها البغاة
واهلوها هُمُ تلك الجناة جنوا شراً فلا رحمت رفات
بمقتلها بنا هذا الضمان — الداء
وبلجيكا بها حل الحمام ويوشك ان يكون لها قيام
بخارست بها ختم الحسام عساه ينجلي هذا الغمام
ويكبو بيننا هذا الطعان
فقد شبعت أراض من دماء وعاف الطير من هذا البلاء
وضاق البحر من رمم القضاء ونادت ارضنا قبل السماء
رويدكمُ فقد تم الختان
وكفوا عن متابعة القتال ذروا إحن النفوس مع النزال
وكونوا اخوة فى خير حال ليرجع بينكم غرر الفعال
ويحمد منكم دوماً عِنان — ظهور
شباب الحرب فيكم قد تولى فهل ادركتمُ ثأراً وذحلا
وزدتم والقناء بكم تجلي تركتم تلكم الاطفال ثكلى
تئن ولا يقر لها أنان — انين
فهل رمتم موالاة المنايا وجعل الارض مأوى للرزايا
فرحماكم فما تلك البقايا تقوم بعبء هاتيك البرايا

وجرد من منافعه الإهان — عرجون الثمره

ورفقاً فالعباد لها مرافق وعفواً فالملاحم لا توافق
كأن لكم بذا الهيجاء سوابق ولكن ما بها فرس يسابق

وميدان الطراد به عران — بعد

فلو وقف المصاب لدى الحروب لهان الامر فى تلك الخطوب
ولكن المصاب كذى شعوب تشعب فى سويداء القلوب

وقرّ له بذي الدنيا عدان — مسمار

كأن الحرب فى الدنيا وباء له فى كل مملكة بلاء
يعدواه سرى فى الكل داء قضى فينا ولكن ذا القضاء

غشوم لا ترضيه الجفان

فمن مات استراح من الحياة واما الحيّ فى عدد الموات
يرى ان السعادة فى الوفاة لما يلقاه من ضيق مواتى

وكان على الارائك لا يهان

فكم وجدت جموع الناس ضنكاً ولاقت فى الحياة عنا وهتكا
وكادت تؤكل الميتات هلكا كأن سنين يوسف جئن فتكا

بهذا الدهر يا بئس الزمان

يجرى هذا وسيف البغى يردى وما للبغى فينا من صدّ

نعم قد آن ان نسري لحد ونرجع عن متابعة لحد
فان السيف صار به دمان — ضعف

أظن السيل قد بلغ الروابي وفلّ السيف من فتك الرقاب
وحان الوقت في فصل الخطاب كفى ما قد المّ من العذاب
فهل للصلح عندكم مكان

تناسوا ما جرى وذروا الصعابا بهذا تفتحوا للصلح بابا
فمن رام الصواب او الخطابا رأى الخيرات تنسكب انسكابا
وبان له لدى البأسا عدان — الساحل

ولا تغلوا غلوا في شروط فذلك واصل حد القنوط
تراضوا واجعلوا شوط الخطوط قريباً في مسامحة الشطوط
يكن لكم اذا رمتم عنان

فكم سهل العسير لدى التراضي وكم صلحت امور بالتغاضي
وعقل القوم يعرف بانخفاض لدى الضراء والنوُّب العراض
ليبق شكرها فينا علان

تواصوا واذكروا حق الجوار وراعوا ما الم من البوار
يقسم الارض اصبح وهو عار ينادي من موالاة الدمار
ألا يا قومُ من هذا الامانُ

ويا امم الحياد لم السكوت وجيرتكم لدى الهيجا تموت
ايحسن منكم هذا الصموت وانتم امة في الدهر قوت
لمن وانى له فيكم لبان — حاجه

فشدوا ازركم في جمع شمل وكونوا للتفاهم خير رسل
اليس لهم عليكم الف فضل فقوموا بالجميل وخير فعل
فان المرء بالحسنى يدان

ليجتمع الصغير مع الكبير وصيحوا صيحة بين النفير
الا هبوا من النوم الكثير لننظر حالة الدهر العسير
فما بعد المصاب لنا اكتتان

فقد جاء الاوان لعقد صلح وحق القول في ابداء نصح
وخير السعى ما ادى لنجح ففي هذا الثناء وربح مدح
وفى هذا يليق بنا العوان

فقوموا للمساعي باذلينا وكونوا للملاحم حاسمينا
تواصوا بالتواصل اجمعينا اتموا الخير والافضال فينا
لكم منا مدا الدهر امتنان

المزدوجة الثانية

٥٠ بيتاً

الحرب ولهوالها

الحرب بحر من جحيم اشعلت نيرانها ايدي المنون ان علت
فوق الرقاب والبلاد اعملت فتاكة في فعلها ان اقبلت

حصادة اسكنها بين البشر

بينا يكون القوم في عمران تسعى الى الخيرات في الاوطان
وتعمل الافكار للاحسان والعزم منها مزهر الافنان

حتى يعيشوا في امان من كدر

قد خيم السلم على ارجائها وحاق الصفو لدى انحائها
والدهر غض الطرف عن اقذائها يسقيهم كاس الهنا من مائها

حتى يكونوا في عقور كالدرر

حتى اذا ما جاءها ذكر الحروب تدفقت نيران ويل والكروب
وجهزت مثل الرواسي للكروب واوجدت ما كان عنا في غيوب

تلك الدواهي والرزايا والخطر

طيارة ترمي واخرى كالشهب ودم دم يفري لاكباد الحجب

قنابل فى طيها شرّ العطب نسافة فيها الدواهى والنصب
كأنما عزرايل فيها قد ظهر
غواصة غاصت لصيد الانفس اسطولها فيه رياح الأبؤس
مدافع صيغت لحصد الارؤس هل ينفعنك اليوم شأن الحرس
ما الحرب الا في الورى احدى الكبر
ترى الامير فى الثرى مبددا والجيش من هول الوغي مهددا
والارض اضحى وجهها مخددا فلن ترى الا قتيلاً قد بدا
بجنبه قتلى وجرحى وزمر
اشلاؤها من نارها مفرقة اكبادها من ويلها محرقة
اجسادها من وقعها محرقة آجالها يوم اللقا ممزقة
وافاهم الموت جميعاً كالمطر
كانما الميدان حين تنظر مجازر الارواحُ فيه تحشر
ويلاه ان القلب منه ينثر قد ضاعت الرحمى لامر يقصر
واستبدلت بين العباد بالشرر
هنالك يعوى الطفل مما قد الم والأم تبكى ابنها من ذا الالم
والزوج تنعى زوجها تحت الحمم فالكل باك نادب حظ الامم
صارت زماداً بعد ما كانت صور

الحرب نار كلها عدوان تشيب من اهوالها الولدان
تفنى الورى كأنهم ما كانوا! ولم يقم من فكرهم بنيان
قد افسدت ما اصلحت ايدى البر

الحرب لا يرضاه شأناً في الورى سوى مريد من بنى الانس افترى
سفاك آجال غشوم قد يرى اصلاح حال فى الانام منكرا
لذاك يهوى نارها ان تستعر

او لا فهل يرضى بذاك عاقل نجم المعالى من لظاها آفل
ما عندها بين العباد نائل ولا لها سر ومعنى طائل
الا عذاب وجحيم وسعر

اما ترى آثارها بين الملا شرقاً وغرباً شرها قد اعتلى
مجاعة مصائب قد اقبلا والفقر اضحى فى الورى مستوبلا
فنحن فى سلم كحرب منتشر

قد طالت البأساء والحروب وشاخ هول كله عيوب
وحالفتنا فى الورى كروب واسكرتنا اكؤس وكوب
عقارها عقر الدماء فى البشر

اما لهذا الهول يا ممالك منكم وقد طال الوغى مسالك
عوجوا لسلم كى يجوز السالك قد طالت البأساء والمهالك

والنقص فى عد البرايا قد ظهر

وهل لدينا فى الورى رشيد يدعو الى الصلح وذا مفيد
فتنطفى النيران والحديد وترحم الارواح والعبيد
ويستقر السلم فينا والعبر

الصلح خير بل صلاح للملا وحاله حالٍ لنا ان اقبلا
اموالنا ارواحنا ضاعت بلا معنى سوى تخريب آمال العلا
تداركوا الصلح بصوت مستمر

نادوا به فى كل نادٍ وانشروا اخباره بل واطلبوه تؤجروا
قد مسنا منه لغوب ينظر ما بال اقوامى به لم يجهروا
عسى نرى منهم نداء مستقر

فيا الهى انت حسبى وكفى اجعل لهذا الحرب حداً منصفا
وارحم عباد من فناء قد وفى وابعث رشيداً داعياً نحو الصفا
فقد كفانا ما دهانا فى العصر